الفصل التاسع

الحركة الفكريّة

- المذاهب والفرق.
- الفلسفة والتربية.
- العلوم الطبيعية عند العرب.
- رأى الغزالى فى العلوم الطبيعية.
- الطب.
- الفلك .
- الكيمياء.
- الفيزياء.
- الرياضيات.
- العلوم الاجتماعية.
- التاريخ.
- الجغرافيا.
- الاجتماع.

obeikandl.com

obeikandl.com

المذاهب والفرق

نشأة الفرق :

كانت الخلافة كما قدمنا هى المسألة الأولى التى اشتد حولها الخلاف بين المسلمين، وتشبعت فيها آراؤهم [1] ، وكان من أثر هذا الاختلاف أن نشأت أهم الفرق الإسلامية فى العصر الأول ، وهى :

١- الشيعة : وهم الذين يرون أن عليًّا كرم الله وجهه أحق بالخلافة بعد رسول الله ﷺ .

٢- الخوارج: وهم يقولون: إن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين.

٣- المرجئة: وهم الذين كرهوا هذا الخلاف واجتنبوا الفريقين، وأرجئوا الحكم فيها لله تعالى .

وحين كثرت الفتوح، وانتشر الإسلام، ودخل فيه كثير من أهل الملل والنحل الأخرى، ظهرت أفكار جديدة من أهل هذه الديانات والنحل صيغت فى ثوب دينهم الجديد، ولما كان العراق مجمع كثير من الديانات والحضارات، وملتقى عديد من الأمم والجماعات، ظهر فيه كثير من الملل والنحل؛ فقامت جماعة تقول بحرية الإرادة، وعلى رأسهم معبد الجهنى، وتكونت منهم فرقة القدرية، كما وجدت فرقة الجبرية الذين يسلبون الإنسان إرادته، وعلى رأسهم جهم بن صفوان .

تبلبلت أفكار كثير من الناس واضطربت، وكان لابد من رد فعل لهذا الاضطراب الفكرى، فقام جماعة من الأعلام الذين شرح الله صدورهم للدفاع عن دينه يبينون للناس العقيدة الصحيحة، ومن أشهر هؤلاء الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) إمام

---

(١) يقول الشهرستانى فى الملل والنحل: «ماسل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ماسل على الإمامة فى كل زمان» ص ٣٠ من القسم الأول تخريج الأستاذ بدران .

أهل السنة فى زمانه؛ فقد كافح وأبلى فى ذلك بلاء حسنا، وكان من تلاميذه واصل ابن عطاء (ت ١٨١ هـ) ، فاختلف معه ،اعتزله، وكان من أثر هذا الاختلاف أن تكونت فرقة المعتزلة التى كان لها فضل إلى حد كبير فى الدفاع عن العقيدة، وكان ذلك فى أوائل القرن الثانى الهجرى .

وفى أواخر القرن الثالث ظهر الإمام أبو منصور الماتريدى (ت ٣٣٣ هـ) وكان من المبرزين فى الرد على أهل العقائد الباطلة ، وعرف أتباعه بالماتريدية .

كذلك ظهر الإمام أبو الحسن الأشعرى (ت ٣٣١ هـ) بعد أن انفصل عن المعتزلة، وأعلن آراءه التى صادفت قبولا من جلة العلماء، ومن هنا وجدت فرقة الأشاعرة . ومن الماتريدية والأشاعرة تكونت جماعة أهل السنة .

* * *

obeikandl.com

الشيعة [1]

الشيعة هم أصحاب الرأى القائل بأولوية آل بيت النبى ﷺ بالخلافة، وأحق آل البيت هو على كرم الله وجهه [2] ، وهم أقدم الفرق الإسلامية، فقد بدا القول بأحقية على بالخلافة عقب وفاة النبى ﷺ .

خمد هذا الرأى مدة خلافة الشيخين: أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وفى آخر عهد عثمان رضى الله عنه ظهر أصحاب هذا الرأى بمذهبهم، ثم نما وترعرع فى زمن على كرم الله وجهه، ولما له رضى الله عنه من منزلة ممتازة فى الإسلام أخذ أتباعه وأشياعه ينشرون مذهبهم بين الناس .

ولما جاء عصر بنى أمية، ووقعت المظالم بآل على، وحل بهم من القتل والتمثيل ما أدمى القلوب، وأبكى العيون كان ذلك مما زاد النار تأججا، والقلوب تأثرا فانتشر المذهب الشيعى وكثر أتباعه .

مبادئ الشيعة

١- الشيعة جميعاً يعتقدون « أن الإمامة ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة، ويتعين القائم بها بتعيينهم . بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبى إغفالها، ولا تفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر .

---

(١) الشيعة: شيعة الرجل أتباعه وأنصاره - القاموس، والشيعة تطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع على وبنيه رضي الله عنهم - مقدمة ابن خلدون جـ ٢ ص٥٢٧ .

(٢) كان أقرب آل بيت النبى ﷺ بعد موته من أعمامه العباس، ومن بنى عمه على وعقيل ابنا أبى طالب، ويمتاز على من بينهم بسبقه إلى الإسلام، وشهوده مشاهد النبى ﷺ ، وبلائه فى ذلك، وتزوجه بابنته فاطمة، ويمتاز العباس بأنه العاصب الوحيد للنبى ﷺ إن كان هناك إرث .

٢- وإن عليا رضى الله عنه هو الذى عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها، ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة أهل السنة، ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، أو مطعون فى طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة(١) .

ومن هنا نشأت فكرة الوصية، ولقب على رضى الله عنه بالوصى يريدون أن النبى ﷺ أوصى لعلى بالخلافة من بعده؛ فهو إمام بالتعيين والنص من رسول الله ﷺ ، وقد أوصى لمن بعده، وهكذا كل إمام وصى من قبله .

٣- وأنه رضى الله عنه أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ ؛ فمن عاداه، أو حاربه فهو عدو الله إلا إذا ثبتت توبته، ومات على حبه، وقد ذكرنا عند كلامنا على ظهور الكذب فى الحديث بعض ماروته الشيعة فى أحقيته بالخلافة .

الدوافع لانتشار التشيع :

كان لانتشار التشيع، وكثرة أتباعه دوافع عدة منها :

١- حب آل البيت حبا خالط شغاف القلوب .

٢- القصد إلى هدم الإسلام لما تنطوى عليه قلوب المتظاهرين بالتشيع من ضغينة، وحقد، وعداء، وكيد للإسلام .

٣- القصد إلى إدخال تعاليم الآباء ودياناتهم؛ من يهودية، ونصرانية، ومجوسية وغيرها، وخلطها بالإسلام لإفساده، أو لإظهار أنهم أهل كتاب، أو لغير ذلك.

٤- الحب الكامن فى نفوسهم لبلادهم، وأوطانهم الأولى، ورغبتهم فى استقلالها، وخروجها عن دولة الإسلام .

كل هؤلاء وغيرهم كانوا يتخذون من حب آل البيت شعاراً يخفون وراءه أهواءهم ونزعاتهم؛ ومن هنا نرى أن التشيع كان ملجأ يلجأ إليه كل من يريد بالإسلام

---

(١) الشهرستانى ص ١٣١ تخريج الأستاذ بدران القسم الأول، مقدمة ابن خلدون جـ ٢ ص ٥٢٧ فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٣١٣ .

سوءاً، أو يبغى لدولته أن تدول، كما كان مباءة خصبة لظهور كثير من الآراء الزائفة كالقول بالرجعة، والحلول، والتناسخ، والتجسم والتشبيه .

وقد افترقت الشيعة إلى طوائف عدة: منها من باد وانقرض بمرور الأيام، ومنها من اندمج فى غيره، وأمحى فى الفرق الأخرى، ومنها ما لا يزال باقياً إلى يومنا هذا .

وكان الباعث على الافتراق أمور، منها :

١- اختلاف وجهات النظر فى المبدأ الشيعى؛ فقد كان منهم المسرف فى تشيعه إلى حد تقديس الأئمة، بل قد غلا بعضهم فى ذلك إلى حد التألية، ومنهم المعتدل الذى اقتصر على تفضيل علىٍّ على بقية الصحابة، واعترف بصحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وأن الخطأ فى ذلك لا يصل إلى حد الكفر أو الفسق .

٢- « تباين آرائهم فيمن يكون إماماً من أولاد على وبنيهم، أفرع الحسن أم فرع الحسين، أم فرع محمد ابن الحنيفة إلى غير ذلك مما رأوا » .

آثار التشع :

كان لظهور الشيعة وانتشار مذهبهم آثار سياسة، واجتماعية، ودينية بعيدة المدى، منها :

١- أن حب على قد تمكن من قلوب كثير منهم، وقالوا فيه مالم يرده، وما لم يأذن به الله، وغالوا فى ذلك حتى ألهوه؛ وقد حرق على رضى الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم، وسخط محمد ابن الحنفية على المختار بن أبى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه، فصرح بلعنته والبراءة منه، وكذلك فعل جعفر الصادق رضى الله عنه بمن بلغه مثل هذا عنه (١) .

٢- أنهم اعتبروا الأمويين مغتصبين للخلافة، ولم يقروا لهم بها، وقاوموهم وثاروا عليهم؛ لأنهم يرون أن كل من خلف علياً من الخلفاء من غير أسرته مغتصب للخلافة .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٢ .

٣ - أنه لما قامت الدولة العباسية لم يرق للعلويين أن يظفر العباسيون بالخلافة دونهم، واعتبروا أن العباسيين خدعوهم؛ إذ لولا اتحادهم معهم ضد الأمويين لما مهد الطريق أمامهم للخلافة .

٤- أنهم كافحوا وناضلوا العباسيين، وكانوا يعملون فى طى الخفاء والكتمان، وأصبح تاريخهم حافلا بضروب الخدع والمكايد، ولكن العباسيين أذاقوهم مرارة الفشل، كما سقاهم الأمويون كأس الذل والهوان من قبل، فلم تنجح محاولاتهم فى الوصل إلى الخلافة، وأصيبوا بهزائم ساحقة فى عصرى المنصور والهادى .

٥- أنهم رحلوا إلى بلاد المغرب حينما اشتدت وطأة العباسيين عليهم، وأسس إدريس بن عبد الله هناك دولة الأدارسة، كما ظهرت دويلات انفصلت عن الدولة العباسية واستقلت عنها مما كان من أسباب ضعفها .

٦- أنهم انتقلوا إلى الشرق، وأقاموا الدولة الفاطمية، وأسسوا القاهرة التى نافست بغداد، وأعلنوا على منابر دولتهم لعن أبى بكر، وعمر، وعثمان، وأسسوا الجامع الأزهر ليكون مقرًّا لنشر مذهبهم لشعبى .

طوائف الشيعة :

افترقت الشيعة إلى طوائف عدة من أهمها :

١- الرافضة : سموا بذلك لأن زيد بن على بن الحسين امتنع عن لعن أبى بكر، وعمر، وعثمان، ورفض رأى من يقول بذمهم (١) .

٢- الكيسانية : الذين ينتسبون - على الأرجح - إلى كيسان رئيس جند المختار ابن أبى عبيد الثقفى .

٣- الزيدية : نسبة إلى زيد بن على (زين العابدين) بن الحسين بن على بن أبى طالب .

٤- الإمامية : وهم يقولون : بإمامة على رضى الله عنه عن النبى ﷺ نصًّا ظاهراً وتعييناً صادقاً، ثم تنتقل منه بعد وفاته هكذا إلى من بعده من ذريته .

---

(١) راجع اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازى .

وسنكتفى بكلمة عن كل من الزيدية والإمامية لبقائهما إلى وقتنا هذا .

الزيدية :

الزيدية ينتسبون – كما قلنا – إلى زيد بن على، ومذهبهم أعدل مذاهب الشيعة إطلاقا، وهم أقرب طوائف الشيعة إلى مذهب جماعة المسلمين، وذلك :

١– لأنهم لم يغلوا فى دينهم .

٢– لم يكفر الأكثرون منهم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ .

٣– لم يرفعوا الأئمة إلى مرتبة الألوهية، ولا إلى مرتبة النبوة .

نشأتهم :

فى خلافة هشام بن عبد الملك فى بدء القرن الثانى للهجرة عرف عن زيد نفور من ظلم الأمويين وتطلع للخلافة، وعرف هشام منه ذلك، وقد روى أنه دخل يوما عليه فسخر منه، وقال له: لقد بلغنى أنك يا زيد تتمنى الخلافة لنفسك، ولست لها أهلا فأنت ابن أمة . فأجابه زيد : يا أمير المؤمنون لقد كان إسحاق ابن حرة، وإسماعيل ابن أمة؛ فاختص الله إسماعيل بجعل العرب من سلالته، وجعل من سلالة العرب محمداً ﷺ ، وكان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يحب زيداً ويميل إليه، وروى أنه كان يفتى بنصرته والخروج معه .

وفى سنة ١٢١ هـ اعتزم زيد الخروج على هشام؛ فحاول خاصة أهله ونصحاؤه أن يثنوا عزمه عن هذه المخاطرة، وبينوا له غدر أهل الكوفة بجده الحسين من قبله لكنه أبى، وأصم أذنيه، وخرج والتحم بجيش هشام فقتل سنة ١٢٢ هـ .

مذهبهم :

١– أن الإمام منصوص عليه بالوصف لا بالاسم، وأوصاف الإمام أن يكون فاطمياً، عالما زاهدا، مجتهداً، جواداً، شجاعا، ويخرج داعياً إلى إمامته [١] .

٢– إنهم لا يقولون بالتقية، ولا بعصمة الأئمة، ولا باختفائهم .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٢١ ، الشهرستانى ص ١٣٧ تخريج الأستاذ بدران .

٣- إنهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الفاضل؛ لأن هذه الصفات للإمام الأمثل فهو بها أولى من غيره؛ فإن اختار أهل الحل والعقد إماماً لم يستوف الشروط وبايعوه صحت بيعته، وبنوا على ذلك صحة بيعة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، وعدم تكفير من بايعهما من الصحابة، وقد كان هذا الأصل الذى نادى به زيد سبباً فى خذلان كثير من الشيعة له .

٤- إنهم يقولون: إن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار ما لم يتب توبة نصوحا، وهذا القول أثر من آثار تلمذة إمامهم لواصل بن عطاء، كما أن القول به كان من أسباب خروج كثير من الشيعة عليه [١]، ولا يزال مذهب الزيدية فى اليمن إلى الآن.

الإمامية :

الإمامية: «هم القائلون بإمامة على رضى الله عنه بعد النبى عليه السلام نصًّا ظاهراً، وتعييناً صادقاً من غير تعريف بالوصف بل إشارة إليه بالعين [٢] .

وسموا إمامية نسبة إلى مقالتهم باشتراط معرفة الإمام وتعيينه، فى الإيمان، وهى «أصل عندهم» [٣] بل الأصل الذى لا يقبل إيمان بدونه، ومذهبهم منتشر فى العراق، وإيران، والهند .

مذهبهم :

١- النص على الإمام وتعينه بالذات؛ ولهذا نص النبى ﷺ على إمامة على رضى الله عنه، لأنه ليس «فى الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا؛ يرى كل واحد منهم رأيا، ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافقه فى ذلك غيره، بل يجب عليه أن يعين شخصا هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به، والمعول عليه، وقد عين عليا رضى الله عنه فى مواضع تعريضا، وفى مواضع تصريحا [٤] .

---

(١) راجع الشهرستانى تخريج الأستاذ بدران القسم الأول .

(٢) الشهرستانى ص ١٤٤ من القسم الأول تخريج الأستاذ بدران .

(٣) راجع فى ذلك المرجع السابق ص ١٤٥ ، مقدمة ابن خلدون ص ٢٣١ .

(٤) راجع فى ذلك الشهرستانى ص ١٤٤ ، مقدمة ابن خلدون ص ٢٣١ .

٢- تخطوا عن هذه الدرجة إلى الوقيعة فى كبار الصحابة: طعنا وتكفيرا، وأقله ظلما وعدوانا [١].

٣- جعلوا سلسلة الخلافة بعد على فى أولاد فاطمة؛ فاتفقوا على إمامة الحسن والحسين وعلى زين العابدين [٢]، واختلفوا بعد ذلك فى تسلسل الأئمة إلى فرق متعددة، أشهرها: الإسماعيلية، والاثنا عشرية.

ولما كانت الاثنا عشرية أكثر طوائف الإمامية، وأظهر أثرا فى تاريخ الإسلام فإنا نخصهم بكلمة فتقول:

سموا بذلك؛ لأنهم يسلسلون أئمتهم إلى اثنى عشر إماما، وهم:

(١) على، (٢) الحسن، (٣) الحسين، (٤) على زين العابدين، (٥) محمد الباقر، (٦) جعفر الصادق، (٧) موسى الكاظم، (٨) على الرضا، (٩) محمد الجواد، (١٠) على الهادى، (١١) الحسن العسكرى، (١٢) محمد بن الحسن العسكرى، ويلقبونه المهدى المنتظر، ويزعمون أنه دخل فى سرداب بسامرا وتغيب سنة ٢٦٠ هـ، وسيخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا [٣]، ولا يزال كثير من الشيعة يحجون إلى هذا المكان إلى الآن.

مذهبهم:

١- تدور بحوثهم، وتتركز حول مسألة الإمام، ويعنون به الذى يجب أن يتولى أمور المسلمين دينا ودنيا، ومحور الخلاف بينهم وبين أهل السنة لا يعدو هذه المسألة، وما تفرع عنها من اختلاف وجهة النظر فى تفسير القرآن والحديث، ويوضح رأيهم فى الإمام وقداسته ماورد فى كتاب الكافى للكلينى وهو الكتاب المعتبر عندهم كالبخارى عندنا، ومما جاء فيه: «الفرق بين الرسول، والنبى، والإمام، أن الرسول هو الذى ينزل عليه جبريل؛ فيراه ويسمع كلامه، ونزل عليه الوحى، والنبى ربما سمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذى يسمع الكلام، ولا يرى الشخص».

٢- «القول بالتقية، ومعناها أن يحافظ المرء على نفسه وماله، وكل ما يتصل بعقيدته أو يمت لها بسبب من قريب أو بعيد، فإن لم يكن صاحب صولة ومنعة دارَى الأقوياء وأظهر متابعتهم، ومع هذا يعمل فى الخفاء كل مايراه محققا ما يرمى إليه من أهداف؛ فهو يظهر خلاف ما يبطن» وعقيدتهم هى العقيدة الرسمية لدولة إيران[٤].

---

(١) الشهرستانى ص ١٤٥.
(٢) المصدر السابق ص ١٤٦.
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٣، الشهرستانى ص ١٥٠ من القسم الأول تخريج الأستاذ بدران.
(٤) فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين.

الخـــوارج

لما رأى معاوية أن الدائرة ستدور عليه فى موقعة صفين عمد إلى الحيلة والدهاء فأمر جنده برفع المصاحف، ونادى بأن يحتكم الفريقان إلى كتاب الله تعالى، ولم يطمئن على إلى دعوة معاوية، وتردد فى قبولها . ثم قبلها أملا فى حقن الدماء، وإعادة الوئام بين المسلمين، ولكن فريقاً ممن معه – وأكثرهم من قبيلة تميم – لم يرض بهذا التحكيم، وقالوا كلمتهم المشهورة: «لا حكم إلا لله» ، ولا نحكم أحدا فى كتاب الله تعالى، وانشقوا على على رضى الله عنه، وخرجوا عليه؛ فسموا «الخوارج» وذهبوا إلى حروراء «وهى قرية بظاهر الكوفة» ، وسموا بالحرورية كذلك، وأمروا عليهم رجلا منهم اسمه «عبد الله بن وهب الراسبى» [1] ، وقد حاربهم على رضى الله عنه، وهزمهم فى موقعة النهروان وأفنى منهم نحو ثلاثة آلاف، ولكن لم يقض عليهم، فظلوا فى حروب دامية مع الأمويين، ثم هان أمرهم فى زمن العباسيين.

مبادئهم :

من مبادئهم :

١– أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين .

٢– إذا اختير الإمام فلا يصح أن يتنازل أو يُحَكم .

٣– ليس من الضرورى أن يكون الخليفة من قريش، فالخلافة حق بين جميع المسلمين على السواء حتى الأرقاء، وبذلك خالفوا الشيعة، كما خالفوا جماعة المسلمين .

٤– على الخليفة أن يخضع لما أمر الله، وإلا كان الخروج عليه حقًّا واجباً، ثم تطورت آراؤهم، ومزجوا تعاليمهم السياسية بأبحاث دينية وقالوا :

٥– إن الإيمان ليس اعتقاداً فقط، ولكنه اعتقاد وعمل، ومرتكب الكبيرة كافر؛

---

(١) الراسبى نسبة إلى راسب بطن من الأزد .

وبذلك يمكن القول . بأن الخلافة، وتكفير مرتكب الكبيرة هما المسألتان الرئيسيتان فى مذهب الخوارج [١] .

كان لظهور الخوارج آثار سياسية واجتماعية هامة منها :

١- أنهم كانوا خطرا هدد المسلمين، وأقلق الخلافة، وكانوا سبباً فى كثير من الحروب الدامية .

٢- تداخلوا فى العقائد، وكفروا مخالفيهم .

وقد افترقوا إلى فرق كثيرة بلغت نحو العشرين فرقة، كان من أهمها :

(أ) الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، وكان من أكبر فقهائهم، وفرقته أكثر فرق الخوارج، وأشدهم شوكة، وكانوا يرون تكفير كل المخالفين لهم، ويجيزون قتلهم، ويستحلون قتل أطفالهم ونسائهم، ولا يجيزون التقية فى قول ولا فى عمل؛ لأن الله يقول : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ .

(ب) الصفرية - أتباع زياد بن الأصفر، ويوافقون الأزارقة إلا أنه لا يستحلون قتل النساء والأطفال، ويجيزون التقية فى القول دون العمل .

(جـ) الأباضية نسبة إلى عبد الله بن أباض التميمى، ونزعتهم أميل إلى المسالمة والاعتدال؛ لأن تكوينهم كان فى أخريات الدولة الأموية بعد أن صهرتهم الحرب، وأفادوا من تجارب أسلافهم، فلم يتغالوا فى الحكم على مخاليفهم كالأزارقة، وقالوا: لا يحل قتال غير الخوارج، وسبيهم فى السر غيلة ولا يجوز قتالهم إلا بعد الدعوة، وإقامة الحجة، وإعلان القتال إلخ [٢] . وما زالت لهم بقية فى شمالى أفريقية وفى (نزوى - عمان) ولهم فيها إمام يزعم لنفسه أنه إمام المسلمين [٣] .

---

(١) كان ذلك فى أيام عبد الملك بن مروان ، وأكبر من كان له أثر فى ذلك الأزارقة، فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٣٠٤ .

(٢) راجع اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام الرازى، والشهرستانى القسم الأول .

(٣) راجع كتاب الوحى المحمدى للمرحوم السيد محمد رشيد رضا، وإمامهم الآن غالب ابن على الهنائى، وهو يقيم فى إحدى حدود عمان بلاده المسلوبة، سلبها سلطان مسقط بمعاونة الإنجليز فى سنة ١٩٥٥ م ، وقد زار أخيرا المرحوم الإمام الشيخ شلتوت شيخ الأزهر واقترح عليه أن تكون الأباضية ضمن ما يدرس فى الجامعة الأزهرية .

ويرى نيكلسون [1] أن الخوارج كانوا المثل الأعلى في الدفاع عن العقيدة والاستماتة في سبيل الانتصار للمبدأ رغم ما كان من اعتسافهم في ذلك المبدأ، واشتطاطهم في تلك العقيدة مما عاد بالفشل عليهم، وقد لانت قناتهم قليلا، وابتدأ الاعتدال والتسامح يدب إلى نفوسهم، ويسود أفكارهم حين رجعوا إلى أنفسهم أمام خطر داهم كاد ينتهي بإبادتهم، واستئصال شأفتهم، كما يرى أنه لم تكن لهم مآرب شخصية يرمون إلى تحقيقها من وراء حركتهم هذه. كما لعبرهم من الأحزاب السياسية الأخرى من شيعة، وأمويين، وزبيريين [2].

* * *

المرجئـــة

لما رضي علي كرم الله وجهه عن التحكيم، وانقسم أتباعه إلى شيعة وخوارج، والخوارج كانوا يكفرون عليا وعثمان، والقائلين بالتحكيم، والشيعة منهم من يكفر أبا بكر، وعمر، وعثمان ومن ناصرهم، وكلاهما يكفر الأمويين ويلعنهم كان ذلك سبباً في أن جماعة من الصحابة كرهوا هذا النزاع، وقالوا بإيمان الجميع وإن كان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً، ومادمنا لا نستطيع تعيين المخطئ والمصيب؛ فلنرجئ أمرهم إلى الله تعالى؛ فسميت هذه الجماعة بالمرجئة.

ثم تدرج بحثهم في أمور دينية؛ فعرفوا الإيمان بأنه معرفة الله ورسوله، ثم تغالوا، وقالوا: إن الإيمان الاعتقاد بالقلب، والعمل لا أثر له مطلقاً، حتى قالوا عبارتهم المشهورة: «لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة [3]» وقد تلاشت هذه الفرقة في العصر الأموي.

---

(١) تاريخ العرب لنيكلسون ص ٢١١، نقلا عن كتاب تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم.

(٢) راجع الدولة الأموية بالمشرق للمؤلف ص ٢٤٧ – ٢٦٠.

(٣) راجع الشهرستاني – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام الرازي.

المعتزلـــة

كان واصل بن عطاء الذى صار رأس المعتزلة فيما بعد من تلامذة الحسن البصرى رحمه الله، فاختلف معه فى حكم مرتكب الكبيرة واعتزل مجلسه [١] .

مبادئهم :

١- نفى صفات الله تعالى القديمة كالعلم، والقدرة؛ حذرا من تعدد القديم .

٢- القول بالمنزلة بين المنزلتين؛ فمرتكب الكبيرة الذى مات، ولم يتب ليس مؤمناً ولا كافراً، وهو مخلد فى النار .

٣- العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه .

٤- القول بخلق القرآن، وعدم رؤية الله تعالى فى الآخرة .

٥- العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها [٢] .

وكان لهم فى العصر العباسى شعبتان : شعبة البصرة التى أسسها واصل بن عطاء . وشعبة الكوفة التى أسسها بشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) وتفرعت من هاتين الشعبتين فروع كثيرة تختلف فى بعض التفاصيل والجزئيات .

والمعتزلة كانوا أكثر الفرق اتصالا بالفلسفة اليونانية . وأسرعهم للإفادة منها، وقد اضطرهم إلى ذلك ما انتدبوا أنفسهم له من الحجاج عن الدين وعقائده، والرد على المخالفين من أصحاب الملل والنحل الأخرى، ومن رجالهم الأعلام من يشار إليهم مثل : أبى الهزيل العلاف، والنظام، والجاحظ وغيرهم [٣] .

---

(١) فى تسميتهم معتزلة آراء منها : قول الحسن البصرى : اعتزل عنا واصل، ومنها أنهم اعتزلوا ما كان معروفاً حين ذاك من الآراء فى مرتكب الكبيرة، ومنها غير ذلك .

(٢) راجع المصدرين السابقين .

(٣) من مقال للمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى فى دائرة المعارف الإسلامية العدد ١٤ من المجلد الخامس .

أهل السنة

أهل السنة هم أتباع أبى الحسن الأشعرى، وأبى منصور الماتريدى وقد سارا على طريقة السلف الصالح فى فهم العقائد، وجعلوا القرآن الكريم هو المصدر الذى يأخذون منه عقائدهم، وما اشتبه عليهم من آياته حالوا فهمها بما توجبه أساليب اللغة، ولا تنكره العقول، ولا يتجافى مع ما عرف من أصول العقائد؛ فإن تعذر عليهم ذلك توقفوا وفوضوا .

وليس بين الأشاعرة والماتريدية خلاف إلا فى بعض المسائل اليسيرة كمفهوم الإيمان والإسلام، ومعنى القضاء والقدر، وغير ذلك مما يكون عادة بين أهل المذهب الواحد ولا يقتضى تخالفاً فى المذهب .

* * *

obeikandl.com

الفلسفة والتربية

لم ينقل العرب كتب فلاسفة اليونان إلى العربية إلا فى عصر المأمون على وجه العموم؛ ومن ثم نرى أن الفلسفة الإسلامية التى اعتمدت إلى حد كبير على الفلسفة اليونانية قد تأخر نضجها بالقياس إلى العلوم الأخرى، وحينما ترجموا كتب اليونان ودرسوها وتفهموها، برعوا فيها ونبغوا حتى صاروا أساتذتها .

آثار الفلسفة :

كان من آثار الفلسفة عند المسلمين :

١– أن ربط العلماء بين العلم والدين؛ وتناقشوا فى الإلهيات، ووضعوا أساس الفلسفة الإسلامية والروحية، وبنوا عليها علم الكلام؛ وأيدوه بها، لتقوى حجتهم فيما كان يدور بينهم من المجادلات المذهبية، وقد اضطرهم ذلك إلى الاشتغال بعلم المنطق والتأليف فيه .

٢– أن اعتقد بعض الخلفاء، وكثير من علماء المسلمين أن الفلاسفة يريدون تشكيك الناس فى عقائدهم فاضطهدوهم، ومع ذلك فقد كان بعض الخلفاء يشجعونهم على الجدل والمناقشة والبحث العقلى .

٣– ظهور كثير من الفلاسفة المسلمين الذين كان لهم أثر واضح فى الفكر الإسلامى، ثم فى الفكر الأوربى إبان نهضته .

٤– أنهم وضعوا مبادئ علم النفس – ولعل ذلك من أهم آثارهم – وبنوا عليها طرائقهم فى التربية والتعليم، التى مازال الكثير منها يساير أحدث أبحاث علم النفس وأصول التربية، ويكفى أن نعرف أن الغرض الأساسى من التربية الإسلامية هو: كمال النفس وتهذيبها، قال ﷺ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

وإنا لنلحظ بوضوح اهتمام المسلمين بالتربية وعنايتهم بها، على أسس من علم النفس، مما كتبه علماؤهم وفلاسفتهم، مثل حجة الإسلام الغزالى الذى أورد فى كتابه « إحياء علوم الدين » . « قواعد ومبادئ يسير عليها المعلم والمتعلم، ويجد المتصفح لها

أنها سامية الغايات، فيها تحليل نفسى دقيق يدل على النضج وخصب القريحة، وعلى معرفته التامة بنفسية المعلم والمتعلم، ويروى المؤرخون أنها لا تقل عن النظريات الحديثة فى علم التربية [١] » .

وهذا مثل من توجيه الخلفاء لمن كانوا يقومون على تربية أبنائهم، نتبين منه مدى عنايتهم بالتربية، عناية تحقق الغرض منها، وتتفق إلى حد كبير مع أحدث طرق التربية .

كتب الرشيد لمعلم ولده الأمين فقال :

« يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع القرآن وبدئه، وامنعه من الضحكك إلا فى أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس الفقراء إذا حضروا مجالسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

مشاهير الفلاسفة

من أشهر فلاسفة الإسلام : الكندى، الفارابى، ابن سينا، إخوان الصفا الغزالى، ابن رشد .

الكِنْدى

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندى (ت ٨٧٣م) فاضل دهره، وواحد عصره، وأكبر فلاسفة المسلمين، وأسبقهم . يتصل نسبه بملوك كندة الأقدمين، فهو عربى الأصل؛ ولذلك سمى « فيلسوف العرب » [٢] .

---

(١) العلوم عند العرب للأستاذ قدرى حافظ طوقان ص ١٧٧ .

(٢) كان جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبى ﷺ، وكان قبل ذلك ملكا على جميع كندة عظيم الشأن، وهو الذى مدحه أعشى بنى قيس بقصائده الأربع الطوال – طبقات الأمم لأبى القاسم صاعد الأندلسى ص ٨١، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٠٤ .

ولد بالكوفة ونشأ بها، فقد كان أبوه أميراً عليها للمهدى ثم للرشيد، ولما بدأ نبوغه اتصل بالمأمون، والمعتصم، والواثق، وكان له عندهم منزلة عظيمة مرموقة، ونبغ، وليس «فى الإسلام من اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة – حتى سموه فيلسوفاً – غيره، وله فى أكثر العلوم تآليف مشهورة من المصنفات الطوال، والرسائل القصار، ما يزيد عددها على خمسين تأليفاً» [١] منها كتابه فى علوم الموسيقى؛ ومنها كتاب «آداب النفس» . وقد حذا فى تأليفه حذو أرسطوطاليس، وحاول فى فلسفته أن يجمع بين آراء أفلاطون وأرسطو، وبرع فى الفلسفة، والطب، والمنطق، والهندسة، والفلك، وغيرها، ويتضح من مراجعة تآليفه فى هذه العلوم أنه كان متضلعاً فيها، متمكناً منها [٢] .

الفارابى

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى [٣] الحكيم الفيلسوف، الذى ازدانت به بطانة سيف الدولة الحمدانى بحلب، وكنت فلسفته تميل إلى المزج بين الأفلاطونية، والأرسطوطالية، والتصوف الإسلامى، مما حمل العلماء على أن يسمونه «المعلم الثاني [٤]»، وهو فيلسوف المسلمين بالحقيقة لا يشق غباره فى كثير من العلوم، وخصوصا فى صناعة المنطق التى «بذ جميع أهل الإسلام فيها، وأتى عليهم فى التحقق بها، فشرح غامضها، وكشف سرها، وقرب تناولها، وجمع ما يحتاج إليه منها فى كتب صحيحة العبارة، لطيفة الإشارة» [٥] .

---

(١) طبقات الأمم لأبى القاسم صاعد الأندلسى ص ٨١، ٨٢ – وقد ذكرها صاحب الفهرست ص ٣٥٧ – ٣٦٥ ط الرحمانية سنة ١٣٤٨ هـ .

(٢) راجع إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٤٠ وما بعدها .

(٣) نسبة إلى فاراب وهى ولاية وراء نهر سيحون فى تخوم بلاد الترك خرج منها جماعة من الفضلاء منهم الجوهرى مصنف الصحاح فى اللغة – معجم البلدان لياقوت .

(٤) كشف الظنون جـ ١ ص ١٤٤ .

(٥) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٨٤ .

هذا إلى مؤلفاته الكثيرة التى أربت على المائة [١] فى مختلف العلوم، وهى مؤلفات فريدة منها كتابه فى إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها وهو أشبه بقاموس علمى على شكل موسوعات العلوم «لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به، وتقديم النظر فيه [٢]» ، ومنها كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة» وهو كتاب فرد فى موضوعه، غايته تبيان المدينة الفاضلة وإسعادها، ومنها كتابه «السياسة المدنية» وهو من قبيل علم الاقتصاد السياسى الذى يزعم العلماء المحدثون أنه من ابتكاراتهم، وقد كتب فيه الفارابي منذ أكثر من ألف سنة .

ومنها كتابه فى أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس، وهو يشهد له بالبراعة فى الفلسفة، والتحقق بفنون الحكمة، قال فيه صاعد الأندلسى . «لا أعلم كتابا أجدى على طالب الفلسفة منه» .

وقد برع فى الموسيقى حتى أصبح لا يضاهيه أحد فيها كما قدمنا، وكانت وفاته بدمشق فى كنف الأمير سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٣٩ هـ [٣] .

ابن سينا

هو الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا الحكيم المشهور أمره، المقدور قدره، ولد بقرية خرميثين [٤] ثم انتقل به والده إلى بخارى، وفيها حفظ القرآن الكريم، وهو فى سن العاشرة، وكانت تبدو عليه من صغره بوادر الذكاء والفطنة، ولم يكد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى تعلم الكثير من العلوم كالفقه، والمنطق، والهندسة، والطبيعة، والفلسفة، والطب وغيرها .

---

(١) ذكر معظمها القفطي في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٨٤ .

(٣) طبقات الأمم ص ٨٦ ، القفطى ص ١٨٣ ، معجم البلدان لياقوت .

(٤) خرميثين: بفتح أوله وتسكين ثانية وفتح ميمه، وتسكين الياء المثناة من تحت وثاء مثلثة مفتوحة، وآخره نون - من قرى بخارى، معجم البلدان لياقوت جـ ٢ ص ٨٦، جـ٣ ص ٤٢٤

رغب ابن سينا فى الطب، وبرز فيه، وتعهد المرضى وانفتح عليه من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة مالا يوصف مما حمل الأطباء أنفسهم على أن يقصدوه ليستفيدوا منه .

واتفق أن نوح بن منصور أحد ملوك الدولة السامانية مرض مرضا حار فيه الأطباء، فاستدعى ابن سينا فبرئ على يديه فقربه إليه، وكان نوح مغرما بالكتب، وله مكتبة عامرة بنفائس الكتب، فاستأذنه ابن سينا فى دخولها، واستوعب ما فيها قراءة ودرسا، « وأخذ فى التأليف وهو فى الحادية والعشرين من عمره، وارتفعت منزلته. وتنقل فى بلاد خراسان وهو موضع الإعجاب، ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف[1]، وقد كان من أشهر الأطباء الذين أنجبهم العالم، وهو معروف فى أوربا باسم « أفسينا » .

وفى الحق إنه كان من المتفردين بسعة العلم، ورجاحة العقل، وكثرة التآليف . ومؤلفاته تزيد على المائة فى مختلف العلوم، وكان لها تأثير كبير فى نهضة أوربا؛ لأنهم نقلوا أهمها إلى لغة العلم عندهم يومئذ وهى اللاتينية، وذاعت مؤلفاته عندهم فى الطب، والفلسفة بعد ترجمتها .

ومن أشهر كتبه كتاب القانون الذى حوى أهم ما عرف إلى زمانه من علوم الطب، وكتاب الشفاء فى الطب وفى غيره، وكتاب الإشارات فى الفلسفة .

تقلبت به أحوال وجرت له أمور، ثم ولى الوزارة لشمس الدولة أبى طاهر بن فخر الدولة، ومات فى يوم السبت سادس شعبان سنة ٤٢٨ هـ عن ثمان وخمسين سنة، ودفن بهمذان[2] .

* * *

---

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، تاريخ آداب اللغة للأستاذ جورجى زيدان .

(٢) معجم البلدان لياقوت جـ ٢ ص ٨٦ ، إخبار العلماء للقفطى ص ٢٢٨ .

إخوان الصفا

بعد أن نقل العرب علوم اليونان وغيرهم، ودرسوها وتناقلوها في بيئاتهم ومجتمعاتهم العلمية، أصبح من يشتغل بالفلسفة متهما في دينه في نظر الكثير، حتى غدا مريدوها يتجنبون الظهور بها، أو ينكرونها وهم بها كلفون؛ لهذا كانوا يشتغلون بها سرًّا، وألفوا لذلك الجمعيات السرية، وكان منها :

جماعة إخوان الصفا :

وهي جماعة فلسفية سرية لها ميول باطنية سياسية، تكونت نواتها في البصرة حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، ثم نمت وصار لها فرع في بغداد، وذكروا من أعضائها خمسة هم: أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد المهرجاني، والعوفي، وزيد بن رفاعة[1] «وكانوا يجتمعون سرًّا، ويتباحثون في الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص، هو خلاصة أبحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على آراء اليونان، والفرس، والهنود، وتعديلها على ما يقتضيه الإسلام»[2] ورعموا أنهم بمذهبهم هذا قربوا الطريق إلى الفوز برضوان الله؛ وذلك أنهم قالوا: إن الشريعة قد دنست بالجهالات . واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفسلفة، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية، والشريعة العربية فقد حصل الكمال[3]» .

وقد وضع أعضاؤها إحدى وخمسين مقالة؛ خمسون منها في خمسين نوعاً من الحكمة، ومقالة حادية وخمسون، جامعة لأنواع المقالات، على طريق الاختصار

---

(١) راجع إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص ٥٩ ، ويبدو من كلامه أن زيد بن رفاعة كانت له الصدارة فيهم .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي للأستاذ جورجي زيدان .

(٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص ٥٩ .

والإيجار » [1] وبإمعان النظر فيها يظهر أن أصحابها وضعوها بعد البحث الدقيق، والنظر الطويل. وهى دائرة معارف ضخمة يفخر بها الفكر العربى، ومازال الكثير من أبحاثها ذا قيمة علمية إلى وقتنا الحاضر .

وكان لأبحاثهم هذه، وكتاباتهم تأثير كبير فى كثير من علماء المسلمين وفلاسفتهم، كالمعرى، وأبى حيان التوحيدى، وحجة الإسلام الغزالى، وغيرهم من مفكرى القرنين: الرابع، والخامس من الهجرة .

وقد انبرى الإمام الغزالى للرد عليهم بحججهم ومنطقهم بعد أن أحاط بعلوم عصره، وهاجمهم، هجوماً لا هوادة فيه، فى كتابيه: « مقاصد الفلاسفة » و« تهافت الفلاسفة » ، فخبت الفلسفة فى المشرق رغم لمعان وميضها فى المغرب والأندلس، بفضل ابن رشد وغيره من فلاسفه الأندلس .

الغزالى

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالى، حجة الإسلام، ومن أكبر أعلام الفكر فى زمانه، ولد فى « طوس » إحدى مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ ، ومات أبوه وتركه صغيرا فى رعاية أحد الصوفية .

قرأ طرفا من العلم فى بلده، ثم ارتحل إلى جورجان، ثم إلى نيسابور حيث كان إمام الحرمين الجوينى، وظل فى جواره يتلقى عنه العلوم الدينية والعقلية إلى أن توفى سنة ٤٧٨ هـ ، ثم ولى التدريس فى المدرسة النظامية ببغداد عام ٤٨٤ هـ ، وبلغ أوج مجده العلمى فى هذه المدرسة حتى كان يحضر دروسه ثلاثمائة من أكابر العلماء [2] ثم انقطع عن التدريس سنة ٤٨٨ هـ . وسلك طريق الزهد .

تكاثر الفلاسفة فى عصره، وناهضوا رجال الدين، فتصدى لهم . واطلع على

---

(١) المصدر السابق ص ٥٨ .

(٢) مقدمة كتاب تهافت الفلاسفة للدكتور سليمان دنيا ص ٤٧ .

أقوالهم « وأمعن فيما يخالف الظاهر منها قواعد الدين، فوقع فى حيرة وتردد، وعمد إلى لتحقيق نفسه » ، وكان التعطش إلى درك الحقائق دأبه وديدنه من أول أمره، وريعان عمره، فاتجه إلى بحث الأقوال المتغايرة، وفحص الآراء المختلفة التى كانت تسود عالم الإسلامى فى زمانه، وسما بتفكيره، وجال فى كل مجال، اطمئناناً للنفس مما كان يساورها من حيرة وشكوك، وبحثا عن الحقيقة التى كان يتعطش إليها.

وقضى نحو عشرة أعوام – بعد أن انقطع عن التدريس بالمدرسة النظامية – فى الأسفار بين الحجاز والشام وبيت المقدس على طريقة الصوفية وهو يطالع ويبحث ويناظر؛ فظهر له أن الفلاسفة على ضلال، وحمل عليهم حملة شعواء صادقة بالتأليف والمجادلة والمناظرة، وكان يجادلهم ببراهينهم وحججهم؛ فسمى « حجة الإسلام » .

خرج الغزالى من دراساته وجولاته ومناظراته بثروة علمية عظيم، من أهمها كتابه « تهافت الفلاسفة » ؛ « فهو ثمرة محكمة، وتفكير طويل يبين المسائل الكبرى التى كانت محل خلاف بين الدين والفلسفة » ، وقد بلغ فيه أقصى حدود الشك، فسبق زعيم الفلاسفة الشكيين (دافيدهيوم) بسبعة قرون فى الرد على نظرية « العلة والمعلول » .

توفر على بحث الأخلاق فأجاد، وترك أبقى الآثار وأرفعها شانا، وضمنها كتابه الشهير « إحياء علوم الدين » .

حقًا لقد ترك الغزالى تراثاً علميًا ضخماً يجعله فى الخالدين وهو كما قيل : مزاج من علوم شتى، أنضجها البحث الدقيق، وصقلها التفكير العميق، وهو لهذا يتمتع بمقام مرموق من علماء المشرق والمغرب، ويرى « دى بور » أنه أعجب شخصية فى تاريخ الإسلام » ، وتوفى رحمة الله عليه فى بلده طوس سنة ٥٠٥ هـ[١] .

---

(١) راجع كتب الغزالى، وكتاب العلوم عند العرب للأستاذ قدرى طوقان .

ابن رشد [1]

تأخرت الحركة العلمية فى الأندلس عن نظيرتها فى المشرق بنحو مائة سنة؛ لذلك لم يعان علماء الأندلس مجهوداً كبيراً فى ترجمة الكتب القديمة، وكان كل همهم أن ينقلوا عن علماء المشرق، ويأخذوا عنهم، وقد أخذوا عنهم فيما أخذوه أبحاثهم فى الفلسفة، ولم تكد كتب الفارابى، وابن سينا، والغزالى تصل إليهم حتى أحدثت حركة فكرية أساسها الانتصار للفلسفة، وبيان أنها لا تختلف مع أصول الإسلام فى شىء .

وفيلسوف الأندلس الأكبر هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد قاضى قضاة الأندلس وأشهر فلاسفة الإسلام .

ولد بقرطبة، ونشأ بها، وعرف بتحصيل العلوم، وفاق أهل زمانه فى كثير منها، وله قدم راسخة فى الفقه، والطب، والفلسفة، وغيرها .

وهو أعظم من شرح فلسفة أرسطو، وعرض أفكاره على وجهها الصحيح، وعلق على كتبه التى وصلت إلى العالم العربى فى شروح متغايرة، حتى أطلق عليه اسم (الشارع العظيم) ، وفى حضان فلسفته بلغت فلسفة أرسطو رشدها، وعلى يديه خلصت من شوائب الخلط الذى وقع فيه بعض من سبقه من فلاسفة المسلمين .

وعلى شروحه الفلسفية بنى الأوربيون فلسفتهم فى القرون الوسطى، وكان لفلسفته وآرائه أثر كبير فى التطور الفكرى فى جامعة باريس، وغرب أوربا فى القرن الثانى عشر الميلادى، وكان من أثر تقديرهم لآرائه أن سموه « أفيروس » وأطلقوا على مذهبه « الأفيروسية » فكانت فلسفته حلقة الاتصال بين الفلسفة الإسلامية، والشعوب المسيحية فى أوربا .

---

(١) راجع كتاب الفيلسوف المفترى عليه ابن رشد للدكتور محمود قاسم، كتاب الوجود والخلود للدكتور محمد بيطار، ودروس فى تاريخ الفلسفة للأستاذين الدكتور إبراهيم بيومى مدكور، والأستاذ يوسف كرم .

وفلسفته هى آخر حلقة فلسفية ذات بال من حلقات تفكير المسلمين؛ فقد ألم بمؤلفاتهم وأبحاثهم، مما ساعده على التوفيق بين آرائهم وأفكارهم .

نصب نفسه مدافعاً عن الفلاسفة الذين هاجمهم الغزالى من قبل، فأعد كتاب « تهافت التهافت » ليرد به على كتاب « تهافت الفلاسفة » الذى وضعه الغزالى للطعن على الفلاسفة .

كما بذل جهدا عظيما فى إثبات أن الدين لا يناقض الفلسفة الحقة فى شىء، وله فى ذلك كتابان مشهوران طبعا أكثر من مرة، وهما :

١ – كتاب « فصل المقال فيما بين الحكمة، والشريعة من الاتصال » .

٢ – « الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة » .

ومعظم مؤلفاته وهى الكثيرة قد اندثرت، ولو لم تترجم إلى لغات أخرى، لما عرفنا عنها شيئا . ومن أهم مؤلفاته :

كتاب « التحصيل »، الذى جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ونصر مذهبهم .

وكتاب « بداية المجتهد، ونهاية المقتصد » ، وهو كتاب قيم في الفقه المقارن، وقد طبع أكثر من مرة .

وكتاب « منهاج الأدلة » فى علم الأصول .

وكتاب « الكليات » فى الطب، الذى يقول فى آخره : « فهذا هو القول فى معالجة جميع أصناف الأمراض، بأوجز ما أمكننا وأبينه » .

وكتاب جوامع كتب أرسطوطاليس فى الطبيعيات والإلهيات .

وتوفى فى مراكش فى يوم الخميس ٩ من صفر سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨م) ثم حمل جسده إلى قرطبة حيث دفن فيها مع آبائه وأجداده .

* * *

العلوم الطبيعية عند العرب

العلوم الطبيعية وثيقة الصلة بالحياة البشرية، ولها شأن عظيم فى تقدم المدنية الحديثة التى تقوم على الاختراع والاكتشاف والاختبار .

وقد اعتنى بها الأقدمون، وكانت معروفة عند اليونان، ولهم فيها « مؤلفات عديدة ترجمها العرب: ولكنهم لم يكتفوا بنقلها بل توسعوا فيها، وأضافوا إليها إضافات هامة تعتبر أساساً لبعض المباحث الطبيعية، كما أنهم هم الذين وضعوا أساس البحث العلمى الحديث، وقد قويت عندهم الملاحظة، وحب الاستطلاع، ورغبوا فى التجربة والاختبار؛ فأنشأوا « المعمل » ليحققوا نظرياتهم، وليستوثقوا فى صحتها »[1].

رأى الغزالى فيها :

ويرى الغزالى أن العلوم الطبيعية وما فيها من عجائب دليل صادق على الصانع الأكبر، والمدبر الأعظم؛ وأن الدين لا ينكرها ولا يجافيها .

الطب

يقول أبو القاسم صاعد الأندلسى : « وكانت العرب فى صدر الإسلام لا تعنى بشىء من العلم إلا بلغتها، ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير منكرة عند جماهيرهم، لحاجة الناس طرًّا إليها، ولما كان عندهم من الأثر عن النبى ﷺ فى الحث عليها حيث يقول: « يا عباد الله تداووا؛ فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحد وهو الهرم » ، وكان من أطباء العرب « الحارث بن كلدة الثقفى » – وكان على عهد النبى ﷺ – وقد تعلم الطب

(١) العلوم عند العرب، للأستاذ قدرى طوقان ص ٣١ ، ٣٢ .

بفارس واليمن، ومنهم «ابن الحبر» الكنانى طبيب ماهر كان فى أيام عمر بن عبد العزيز، وكان عمر يبعث إليه بمائه إذا مرض [١] .

ولما انتشر الإسلام، واطمأن المسلمون إلى مدائن الأرض التى فتحوها اتجهوا إلى العلوم المعارف فعنوا بالطب عناية فائقة، واستوحوا كتب من سبقهم من اليونان وغيرهم، ثم عدلوها وصححوها، وأضافوا إليها أبوابا جديدة لم يسبقهم إليها أحد؛ فتقدم الطب على أيديهم تقدما ظاهرا: عرفوا طب العيون، ونبغوا فيه، وكانوا فى القرن الحادى عشر الميلادى يعرفون علاج الماء الذى ينصب فى العين (الكاتاركتا) بالتحويل، أو استخراج البلورية [٢] وعرفوا الحميات ذات البثور كالجدرى والحصبة[٣] ، كما عرفوا أمراض الأطفال، وتفتيت الحصاة، وعلاج النزيف بصب الماء البارد، كذلك عرفوا الأمراض النفسية ودرسوا التشريح بتقطيع أجسام القردة، وهم أول من استعمل التخدير الذى يظن الناس أنه من الاكتشافات الحديثة، وذلك باستعمال نبات «الزؤان» أو «الشيلم» حتى يفقد المريض الوعى والإحساس .

وتكاد تكون سائر المعارف الطبية فى أوربا خلال عصر النهضة مأخوذة عن العرب، وأهم ما حققوه فى ميدان الطب يتعلق بالجراحة، ووصف الأمراض، وبالأدوية والصيدلة، وقد ابتكروا وسائل علاجية متعددة ظهر بعضها فى العالم الطبى بعد أن مضت عليها قرون من النسيان، مثل استعمال الماء البارد للحمى التيفودية .

والطب مدين لهم بكثير من المواد الطبية مثل: خيار الشنبر، والسنى المكى، والراوند، والتمر هندى، والكافور، والكحول، والقلى وغير ذلك، كما هو مدين لهم بكثير من المستحضرات المستعملة اليوم مثل: الأشربة، وصنوف اللعوق، واللزق، والمراهم، والأدهان، والماء المقطر ... [٤] .

---

(١) طبقات الأمم ص ٧٤ .

(٢) محمد رسول الله للفونس إتيين دينيه ص ٣٧٧ .

(٣) لا يكاد الطب الحديث يزيد شيئا على ما وصفوه من العلاج للجدرى والحصبة - قصة الحضارة للعلامة ول ديورانت جـ١ ص ٢٨٩ .

(٤) محمد رسول الله للفونس إتيين دينيه ص ٣٧٦ .

وقد وجهوا كثيراً من همتهم للبيمارستانات (المستشفيات) فشيدوها فى بغداد، ودمشق والقاهرة وغيرها، وكانت أهم الأماكن التى يدرس فيها الطب، وكان منها ما هو خاص ببعض الأمراض، ومنها ما هو عام لجميعها، ومنها المحمول الذي ينقل من مكان إلى مكان على نحو ما هو معروف فى زماننا .

وهم أول من أنشأ مدرسة للصيدلة، وأول من أوجد مخازن الأدوية والصيدليات، وأقاموا الرقابة عليها وعلى الصيادلة .

وكان للأطباء نظام خاص يسيرون عليه، «ولم يكن القانون يجيز لإنسان أن يمارس صناعة الطب إلا إذا تقدم إلى امتحان يعقد لهذا الغرض، ونال إجازة من الدولة» (١)، وقد نظم على بن عيسى الوزير – الطبيب – جماعة من الأطباء يطوفون فى مختلف البلاد ليعالجوا المرضى، وكان هناك أطباء يذهبون فى كل يوم إلى السجون ليعالجوا نزلاءها، وكان المصابون بأمراض عقلية يلقون عناية خاصة، ويعالجون علاجاً يمتاز بالرحمة والإنسانية» (٢) .

ولم يقتصر النبوغ فى الطب على الرجال فقط، فقد نبغ من النساء عدد غير قليل كأخت الحفيد بن زهر الأندلسى، وابنتيها اللتين نبغتا فى الطب، وبخاصة فى أمراض النساء .

ومن أشهر أطبائهم على بن عيسى، وهو أبرز أطباء المسلمين، وقد ظل كتابه: «تذكرة الكحالين» يدرس فى أوربا حتى القرن الثامن عشر .

وأبو بكر محمد الرازى الذى ظلت كتبه فى الحميات ذات البثور كالحصبة والجدرى من المراجع الأساسية التى اعتمد عليها الأطباء فى غرب أوربا زمنا طويلا، وكتابه في أمراض الأطفال هو الأول من نوعه، وقد ترجمت أكثر كتبه إلى اللغة اللاتينية وطبعت عدة مرات .. وقد ظلت كليات الطب فى أوربا تعتمد على كتبه زمنا طويلا» (٣).

(١، ٢) قصة الحضارة للعلامة ول ديورانت ص ١٩٠ .

(٣) قصة الحضارة للعلامة ول ديورانت ص ٥١٧

وسابور بن سهل صاحب كتاب: الأقربازين (علم الأدوية) الذى كان معمولا به فى البيمارستانات، والصيدليات وهو مكون من اثنين وعشرين بابا .

ويوحنا بن ماسويه الذى درس التشريح بتقطيع أجسام القردة .

وابن سينا وهو أشهر أطباء المسلمين، وأبعدهم أثراً، وكتابه «القانون» اعتبره الأوربيون خير ما انتجته القريحة العربية، فهو قاموس فى الطب والصيدلية، وابن سينا كما قال المرحوم الدكتور محمد عبد الخالق – أول من كشف الطفيلية الموجودة فى الإنسان، المسماة بالإنكلستوما، وكذلك المرض الناشئ عنها، المسمى بالرهقان أو الإنكلستوما «وقد نقلت كتبه إلى أكثر لغات العالم، وظلت مرجعاً عامًّا لأطباء العالم، وأساساً للمباحثات الطبية فى جامعات فرنسا وإيطاليا ستة قرون، وطبعت عدة مرات وكان طبعها يعاد حتى القرن الثامن عشر»[1] .

* * *

(١) حضارة العرب للعلامة جوستاف لوبون ص ٥١٨ وراجعه من ص ٥١٥ – ٥٢٣ ، كتاب قصة الحضارة للعلامة ول ديورانت جـ٢ م٤ ص١٨٩ – ١٩٢، والمجتمع العربى للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور وزملائه ص ٤٨٠ – ٤٨٧، والعلوم عند العرب للأستاذ قدرى طوقان ١٤ – ٢٤ .

الفلك

برع العرب فى علم الفلك، وتقدموا فيه تقدما فاقوا به أساتذتهم، وظهر فضلهم فيه؛ فقد جمعوا بين آراء الفرس، والهند، والكلدان، واليونان، وغيرهم، وأضافوا إليها إضافات هامة، وحفظوا فى نقلهم لكتب الفلك اليونانية الكثير من المؤلفات التى ضاعت أصولها، «وكان علم الفلك يدرس فى حماس فى مدارس بغداد، ودمشق، وسمرقند، والقاهرة، وفاس، وطليطلة، وقرطبة، وغيرها»[١].

وأقاموا له المراصد العديدة التى انتشرت فى مختلف البلاد الإسلامية من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسى، وكان من أهمها مرصد بغداد الذى دام ازدهاره سبعة قرون من ٧٥٠ – ١٤٥٠ م[٢] وقد توصلوا عن طريق هذه المدارس، وتلك المراصد إلى معلومات واكتشافات هامة، منها :

إدخال خطوط التماس فى الحساب الفلكى منذ القرن العاشر الميلادى، ووضع جداول لحركة الكواكب، وتحديد سمت الشمس تحديدا دقيقا، وتدرجه فى النقص، وتقدير تقدم الاعتدالين تقديرا صحيحا، ووضع أول تحديد صحيح لمدة السنة، وإثبات ما فى أكبر خط عرض للقمر من ضروب عدم الانتظام، واستكشاف عدم التساوى القمرى الثالث المعبر عنه اليوم بالتغيير[٣].

---

(١) محمد رسول الله للفونس إتبين دينيه ص ٣٧٥ .

(٢) حضارة العرب للأستاذ جوستاف لوبون ص ٤٨١ ، يقول صاعد الأندلسى: ولما أفضت الخلافة إلى عبد الله المأمون ... وطمحت نفسه الفاضلة إلى إدراك الحكمة، وسمت به همته الشريفة إلى الإشراف على علوم الفلسفة، ووقف علماء وقته عى كتاب «المجسطى» وفهموا صورة آلات الرصد الموصوفة فيه بعثه شرفه، وحداه نبله على أن جمع علماء عصره من أقطار مملكته، وأمرهم أن يصنعوا مثل تلك الأدوات، وأن يقيسوا بها الكواكب، ويتعرفوا بها أحوالها كما صنعه «بطليموس» ومن كان قبله ففعلوا ذلك، وتولوا الرصد بمدينة «الشماسية» من بلاد دمشق من أرض الشام سنة أربع عشرة ومائتين، فوقفوا على زمن سنة الشمس الرصدية،ومقدار ميلها، وخروج مركزها، ووضع أوجها، وعرفوا مع ذلك بعض أحوال باقى الكواكب من السيارة والثابتة ...) ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) محمد رسول الله للفونس إتبين دينيه ص ٣٧٥، حضارة العرب للأستاذ جوستاف لوبون ص ٤٨١ .

والتوصل إلى نظرية دوران الأرض، وتحسين الاسطرلاب [١] واختراع آلة الرصد [٢] « التلسكوب »، و لآلة المعروفة بالمثقال التى يعرف بها الأوقات على غير رسم ومثال، كما حددوا فى جميع أنحاء الدولة اتجاه القبلة فى المساجد تحديدا دقيقا، إلى كثير من المعلومات الفلكية الهامة.

وبذلك أضافوا إلى الفكر الإنسانى معلومات فلكية جديدة لم تكن معروفة من قبل، وإلى جانب هذه الاكتشافات العظيمة العديدة صححوا كثيرا من الأخطاء الفاحشة التى وقع فيها الإغريق، وبهذا وذاك استفادت أوربا والحضارات الحديثة فوائد ذات بال فى علم الفلك، مما نشاهد آثارها اليوم، وما زال علم الفلك إلى الآن ملىء بالاصطلاحات العربية.

ومن أشهر علمائهم فى الفلك:

أبو جعفر محمد البتانى (١٠٤٨م) الذى صحح بعض الأخطاء التى وقع فيها بطليموس السكندرى، ونهض بالفلك، ووصل فيه إلى نتائج جديدة، وكتابه الزيج[٣] الصابى كان له أثر كبير فى المشرق الإسلامى، وفى غرب أوربا حتى مستهل القرون الحديثة، وقد ترجم إلى اللاتينية عدة مرات، وهو دائرة معارف ضخمة [٤]، « ولا يعلم أحد من الإسلام بلغ مبلغه فى تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها »[٥]. وقد عده الفلكى الشهير « لالاند » من طبقة الفلكيين العشرين الذين هم أشهر علماء الفلك فى العالم [٦].

وأبو الريحان البيرونى (٩٨٤م) الذى يمثل العالم الإسلامى فى أحسن صورة له، وهو أعمق المفكرين المسلمين فى العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية، وله فيها بحوث

---

(١) الاسطرلاب: آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب – المنجد فى اللغة، وانظر مادة الاسطرلاب فى دائرة المعارف الإسلامية العدد الثانى من المجلد الثانى، وقد وصل من العرب إلى أوربا فى القرن العاشر الميلادى – قصة الحضارة للعلامة ول ديورانت ص ١٨٣.

(٢) يصفه أبو الحسن الذى اخترعه بأنه أنبوب مثبت فى طرفيه عدسات.

(٣) الزيج جداول لحركة الكواكب.

(٤) من مقال للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور فى كتاب: « دراسات فى المجتمع العربى » ص ٤٧٠.

(٥) طبقات الأمم لأبى القاسم صاعد الأندلسى ص ٨٨، أخبار الحكماء للقفطى ٨٤.

(٦) حضارة العرب للعلامة جوستاف لوبون ص ٤٨٣.

عظيمة مبتكرة، ومؤلفات قيمة منها كتاب: «القانون المسعودى» فى الهيئة والنجوم، وكتاب: «الآثار الباقية عن القرون الخالية» فى تقاويم وعادات الشعوب القديمة، وهو دراسة نزيهة إلى درجة غير معقولة، وقد بحث فى بعض مؤلفاته نظرية دوران الأرض حول محورها، ولم يكن يخالجه أدنى شك فى كرية الأرض، ووصل إلى تحديد دقيق لخطوط الطول والعرض (١)، وحدد بطريقة بارعة مقدار محيط الكرة الأرضية.

وأبو الوفاء (٩٨٨م) «ومما شاهده هذا العالم الفلكى الاختلاف القمرى الثالث ... كما ظهر من كتابه الخطى الذى عثر عليه «سيديو» منذ بضع سنوات ... والحق أن هذا الاكتشاف الذى عزى بعد أبى الوفا بستمائة سنة إلى «نيخو براهه» – على غير حق – عظيم للغاية» (٢).

* * *

(١) قصة الحضارة ص ١٨٤ – ١٨٦، وكتابه «تاريخ الهند» أعظم مؤلفاته ولم يؤلف مثله فى لغة ما غير العربية. وقد وضعه بعد أن درس أحوال بلاد الهند وعاداتهم.

(٢) حضارة العرب للعلامة جوستاف لوبون ص ٤٨٣، ٤٨٤.

obeikandl.com

الكيمياء

الكيمياء من أهم العلوم التى عنى بها العرب، ولهم فيها فضل كبير واكتشافات مهمة؛ فهم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم وملاحظاتهم الدقيقة، ومستحضراتهم الهامة .

يقول العلامة ول ديورانت : « يكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علما من العلوم؛ ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة، والتجارب العلمية، والعناية برصد نتائجها فى الميدان الذى اقتصر فيه اليونان – على ما نعلم – على الخبرة الصناعية والفروض الغامضة » .

ولا أدل على فضلهم عليها من آثارهم فيها؛ فهم الذين اكتشفوا كثيرا من المركبات الكيماوية التى بنيت عليها الكيمياء الحديثة كالكحول، وزيت الزاج (الحامض الكبريتى) وماء الفضة (الحامض النترى) وماء الذهب (الحامض النتروهيدروكلوريك) والبوتاس، وروح النشادر، وملحه، وملح الطرطير، وملح البارود (نترات البوتاس) والزاج الأخضر (كبرتات الحديد) والزرنيخ، والسليمانى (كلوريد الزئبق) وغير ذلك .

وأقدم علماء العرب، وأكثرهم شهرة فيها هو جابر بن حيان (٧٦٥م) الذى ألف كتبا كثيرة فى الكيمياء، وقد نقل عدد غير قليل منها إلى اللغة اللاتينية، وكتابه المعروف بالاستتمام نقل إلى الفرنسية فى سنة ١٦٧٢م مما يدل على دوام نفوذه العلمى فى أوربا مدة طويلة .

ويتألف من كتبه موسوعة علمية حاوية خلاصة ما وصل إليه علم الكيمياء فى عصره « وقد اشتملت كتبه على بيان كثير من المركبات الكيماوية التى كانت مجهولة قبله، كماء الفضة، وماء الذهب المهيمن اللذين لا نتصور علم الكيمياء بغيرهما، والبوتاس، وروح النشادر، وملحه، وحجر جهنم (نترات الفضة)

والسليمانى، والراسب الأحمر، وهو أول من وصف فى كشبه التقطير، والترشيح، والتصعيد، والتبلور، والتحويل، وهى من أهم أسس الكيمياء وأسرارها .

ومن أشهرهم أيضاً الرازى (٩٤٠م) وهو أول من وصف زيت الزاج والكحول، وخلف أكثر من مائتى مؤلف فى الطب والكيمياء والهندسة والمنطق وغيرها، ولا يزال باقيا منها إلى الآن بضعة وعشرون مؤلفا، من أهمها كتاب الحاوى وهو أجل كتبه وأعظمها [١] .

* * *

(١) راجع حضارة العرب للعلامة جوستاف لوبون ٥٠٣ - ٥٠٥ ، قصة الحضارة للعلامة ول ديورانت جـ ١٣ ص ١٨٧ ، آداب اللغة العربية للأستاذ جورجى زيدان جـ ٢ ص٢١٧ -٢١٩ .

obeikandl.com

الفيزياء (علم الطبيعة)

نهض العرب بالفيزياء نهضة واضحة، وأضافوا إليها معلومات جديدة هامة ولا سيما فى البصريات . ومن آثارهم فيها أنهم عينوا الكثافة النوعية لكثير من أنواع الحجارة الكريمة، وشرحوا أسباب خروج الماء من العيون الطبيعية، والآبار الارتوازية بنظرية الأوانى المستطرقة، واشتغلوا بالعدسات، وبرعوا فى البصريات، وأجروا تجارب لإيجاد العلاقة بين وزن الهواء وكثافته، وكتبوا فى الضوء، والمرايا المحرقة كتابات قيمة، إلى غير ذلك من الأبحاث الى أفاد منها العلماء من بعدهم .

ومع أن معظم مؤلفات العرب فى الفيزياء قد ضاعت، ولم يبق منها إلا القليل فإنه يمكننا أن نقف من هذا القليل على مدى تقدمهم فى هذا العلم، وما أفادته أوربا من تقدمهم فيه (١) .

واشتهر بالفيزياء من العرب كثيرون، منهم :

أبو الريحان البيرونى الذى «عين الكثافة النوعية لثمانية عشر نوعا من أنواع الحجارة الكريمة، ووضع القاعدة التى تنص على أن الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذى يزيغه ... وشرح أسباب خروج الماء من العيون الطبيعية، والآبار الارتوازية بنظرية الأوانى المستطرقة» (٢) .

والحسن بن الهيثم وهو أشهرهم (١٠٢٠م) وله مؤلفات وأبحاث فى الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة، وفى الضوء، وفى المرايا المحرقة واشتغل بالعدسات والبصريات، وابتكر طريقة صحيحة لإيجد البعد البؤرى، وكذلك قام بأبحاث أخرى خاصة بما يسمى الغرفة المظلمة أو (آلة التصوير) التى كان هو أول من استخدمها، ويعزى إليه أيضاً اكتشاف التمييز بين الظل وشبه الظل . وقد نقل روجر بيكون نتائج

---

(١) حضارة العرب للأستاذ جوستاف لوبون ص ٥٠٠ .

(٢) قصة الحضارة جـ ١٣ ص ١٨٦ .

كثير من هذه الدراسات إلى علماء الغرب، كما ترجمت رسالته عن المرئيات إلى اللاتينية والإيطالية، واتخذها كيبلر مرجعاً اعتمد عليه فى أبحاثه [١] .

والخازن المصرى (١٠٧٨م) صاحب الأبحاث القيمة فى المرايا وحرارتها، ومحل الصور الظاهرة فيها، وانحراف الأشياء وجسامتها الظاهرة، والذى وصل إلى حل لبعض مسائل فى الضوء مثل : «إذا علم موضوع نقطة مضيئة ووضع العين، فكيف نجد على المرايا الكرية والأسطوانية النقطة التى تتجمع فيها الأشعة بعد انعكاسها» [٢] .

وكتابه عن البصريات الذى نقل إلى اللغة اللاتينية والإيطالية استعان به كيبلر كثيرا فى كتابه عن البصريات، وفيه فصول ممتعة عن حرارة المرايا، ومحل الصور الظاهرة فيها، وانحراف الأشياء وجسامتها الظاهرة، وقد عد مسيو «شاسل» وهو الحجة فى هذه الموضوعات هذا الكتاب «مصدر معارفنا للبصريات» [٣] .

وروبرت جوستست (١٢٥٣م) أسقف لنكولن الذى يعتبر المثل البارز لعلماء الطبيعة فى غرب أوربا فى أوائل القرن الثالث عشر – نظراً لما كتبه عن البصريات والعدسات والمرايا – استقى معلوماته باعتراف الباحثين الأوربيين من ترجمة لاتينية لكتاب الخازن المصرى، فمن الخازن أخذ علماء أوربا مثل جروستست ومعاصره بول وتلو، وعن هذين الأخيرين أخذ روجر بيكون؛ فالخازن كان الأستاذ الأكبر لكثير من العلماء الأوربيين فى العصور الوسطى ومستهل الحديثة [٤] .

* * *

(١) راجع كتاب الحضارة العربية تأليف . ى. هل ترجمة الدكتور إبراهيم العدوى ص١٠٩

(٢) حضارة العرب للأستاذ جوستاف لوبون ص ٥٠١ .

(٣) المرجع السابق.

(٤) من مقال للدكتور سعيد عاشور فى المجتمع العربى ص ٤٧٦ .

الرياضيات

وجه العرب جانباً كبيراً من اهتمامهم بالعلوم إلى الرياضيات، فذاعت دراستها لديهم ونبغوا فيها، وتقدموا فى أبحاثها تقدماً سريعاً جوهريا، وأضافوا إلى ما نقلوه عن اليونان والهنود الكثير مما لم يكن معروفاً من قبل .

وقد استخدمت أوربا فى حسابها (أعدادا) يرجع فضل معرفتها بها إلى العرب، والطرق الحسابية المستعملة فى الحياة اليومية يرجع الفضل فيها إليهم كذلك .

« والثابت أن الغرب لم يعرف (الصفر) قبل القرن الثانى عشر الميلادى بينما تحدثنا المصادر العربية أن المسلمين كانوا يعرفونه فى القرن الثامن، وكانوا يرسمونه حلقة : وقد جاء ذلك على لسان شاعرهم مشيراً إلى استخدام الحلقة للدلالة على عدم وجوده :

لتعترضن اسمى لدى العرض حلقة وذلك إن كان الإياب يسير

والصفر يعتبر من أخطر النظريات التى اهتدى إليها العقل البشرى فى الرياضيات، وفضل العرب فيه عظيم، يقول المؤرخ « أير» : « إن فكرة الصفر تعتبر من أعظم الهدايا العلمية التى قدمها المسلمون إلى غرب أوربا » والواقع أن علامة الصفر خطوة عظيمة الأهمية جداً فى تصحيح الحساب .

قد استعمل العرب (الصفر) للدلالة على (لا شىء) كما يبدو من بيت الشعر الذى جاء فى قصيدة لحاتم :

ترى أن ما أهلكت لم يك ضرنى وأن يدى مما بخلت به صفر (١)

« وكما ساعدهم نظام الأعداد العربية على إدراك الكمال فى الصرق الأولية

---

(١) راجع أثر الشرق فى الغرب للمستشرق الألمانى جورج يعقوب ص ٢٢ ، ٢٤ .

للحساب فإن معرفتهم خصائص الأعداد الفردية والزوجية، وما بينهما من العلاقات ساعد على استخراج الجذور التربيعية والتكعيبية »[١] .

وقد تقدم علم الجبر على أيديهم تقدما ظاهراً حتى قيل : إنهم هم الذين اخترعوه، وما زال محتفظاً باسمه العربى فى كافة اللغات الأوربية، وإذا كان بعض الباحثين يميل إلى أنهم ليسوا هم الذين وضعوا أصوله فإنه يكفيهم أن يكونوا هم الذين اكتشفوا هذه الأصول، وأضافوا إليها، وأوجدوا منها علماً حقيقيًّا، ثم طبقوه على الهندسة .

وكذلك كان أمرهم فى الهندسة؛ فإنهم لم يقتصروا على معلومات اليونان؛ وإنما جددوا، وزادوا زيادات لم تعرف من قبلهم؛ فهم الذين أدخلوا المماس إلى علم حساب المثلثات، وكان لهذه الخطوة أهمية عظمى فى الرياضيات حتى اعتبرها علماء الرياضة ثورة علمية خطيرة، كذلك أقاموا الجيوب مقام الأوتار، وحلوا المعادلات المكعبة، وتعمقوا فى أبحاث المخروطات، واشتغلوا فى أعوص المسائل الهندسية كقسمة الدائرة إلى سبعة أقسام إلى غير ذلك من الأبحاث الرياضية، ولا ريب فى أن هذه المعلومات التى ابتكرها العرب هى التى جعلت العلوم الرياضية تتبوأ أهميتها فى الحياة .

يقول العلامة ى . هل : « ومن تراث العرب علم حساب المثلثات ونظريات الزوايا والتماس، ولم يكن فى استطاعة بيورباخ ورجيومونانوس وكوبرنيق أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه دون أساس من علوم العرب، وما ساهموا به فى ميدان الرياضيات؛ ذلك أن العرب أحبوا تدعيم نظرياتهم بنماذج عملية، وساعدهم ذلك على وصول درجة الكمال فى علم الجوداسيا (مقياس سطح الأرض) الخاص بقياس ارتفاع الجبال واتساع الوديان، أو حساب المسافة بين نقطتين تقعان على سطح منبسط، واستخدام العرب هذا العلم أيضاً فى تصميم مجارى المياه »[٢] .

---

(١) الحضارة العربية للعلامة ى . هل تعريب الدكتور إبراهيم العدوى ص ١٠٨ .
(٢) الحضارة العربية ص١٠٨ .

وقد اشتهر بالرياضيات كثير من علمائهم، منهم :

محمد بن موسى الخوارزمى (٨٥٠م) وكان منقطعا إلى خزانة كتب الحكمة للمأمون . وألف كتب منها كتاب «الزيج الأول» وكتاب «العمل بالاسطرلاب» وكتاب «التاريخ» وكتاب «الجبر والمقابلة» [١] الذى ألفه بتكليف من الخليفة المأمون، وقد نقله إلى اللاتينية روبرت الشترى سنة ١١٤٥م واقتبس منه الأوربيون معارفهم الأولى فى علم الجبر ، وقد ظل يدرس فى المدارس والجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر [٢] ؛ وبذلك قدم العرب علماً جديداً إلى أوربا [٣] . وابن الهيثم المصرى الذى ألف كتاباً جمع فيه الأصول الهندسية والعددية وأدخل فى الجبر والحساب طرقاً جديدة فى استخراج المسائل الحسابية من جهتى التحليل والتقدير العددى، وقام بتجارب على المرايا الكرية والمثلثة، وابتكر طريقة صحيحة لإيجاد البؤر العددى، ونقل روجربيكون نتائج هذه الدراسات إلى طلبة الغرب، وكذلك قام بأبحاث أخرى خاصة بما يسمى الغرفة المظلمة أو (آلة التصوير) التى كان هو أول من استخدمها، ويعزى إليه أيضاً اكتشاف التمييز بين الظل وشبه الظل .

وقد ترجمت رسالة ابن الهيثم عن المرئيات إلى اللغة اللاتينية والإيطالية واتخذها كيبلر مرجعاً اعتمد عليه فى أبحاثه» [٤] .

«وبنو موسى بن شاكر اشتغلوا فى استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد من الأولين، كقسمة الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية» [٥] .

* * *

---

(١) راجع كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) هيأ الله لهذا الكتاب القيم الأستاذين: الدكتور على مصطفى مشرفة والدكتور محمد مرسى أحمد فنشراه عن مخطوط بأكسفورد فى مكتبة بودلين، وقد علقا عليه وأوضحا ما استغلق من بحوثه وموضوعاته – راجع كتاب العلوم عند العرب للأستاذ قدرى طوقان ص ٩٧ .

(٣) من مقال للدكتور سعيد عاشور فى المجتمع العربى ص ٤٦٧ .

(٤) الحضارة العربية للعلامة ى . هل ص ١٠٩ ١١٠ .

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ جورجى زيدان جـ٣ ص ٣٤٩ .

العلوم الاجتماعية
التاريخ

اهتم العرب بالتاريخ، وعنوا به عناية فائقة ظهرت فى مؤلفاتهم التى وصلت إلينا، «وهى كثيرة جداً حتى إن حاجى خليفة وحده عد فى كتاب كشف الظنون ألفا ومائتى مؤرخ عربى» (١).

وكان أهم حافز لهم على هذه العناية هو حرصهم الشديد على معرفة سيرة النبى ﷺ، والإلمام بأخبار الفتوح التى كانت فى عهده، وعهد خلفائه من بعده.

وكانت الرواية بالسند هى طريقتهم فيما يتصل بالرسول صلوات الله عليه من أقواله وأفعاله وصفاته، وقد نهج المؤرخون فى بادئ الأمر هذا النهج أيضاً فى ذكرهم لحوادث التاريخ كما فعل ابن جرير الطبرى، والحافظ ابن كثير وغيرهما.

ثم رأوا الاكتفاء بذكر الحوادث بلا إسناد مرتبة فقط على حسب السنين كما فعل ابن الأثير، وأبو الفداء.

ولما اتسعت الدولة الإسلامية، واستبحر العمران افتنوا فى تأليفهم؛ فمنهم من ألف فى السير، ومنهم من أرخ لدولة أو لمدينة، ومنهم من كتب فى التاريخ العام، ومنهم من صنف فى الطبقات، إلى غير ذلك.

وأشهر من كتب فى السيرة محمد بن إسحاق (ت١٥٠ هـ) وسيرته وإن كانت قد فقدت، إلا أنها وصلتنا مهذبة عن طريق عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ) وعرفت باسم «سيرة ابن هشام».

وممن ألف لدولة، المقريزى (ت٨٤٥ هـ) الذى يعد كتابه أحسن مصدر عن مصر.

---

(١) حضارة العرب للعلامة جوستاف لوبون ص ٤٧٧.

وممن كتب فى تاريخ المدن، أبو بكر الخطيب البغدادى (ت٤٦٣ هـ) وكتابه تاريخ بغداد من أعظم الكتب فى موضوعه، وقد استوعب فيه ما يتصل بمدينة بغداد، وبخاصة تاريخ علمائها، وابن كثير صاحب كتاب «تاريخ مدينة دمشق) وهو موسوعة تاريخية لا مثيل لها فى بابها .

وممن ألف فى التاريخ العام ابن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ) وتاريخه أوسع وأعظم ما ألف فى تاريخ الدولة الإسلامية فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، والمسعودى (ت ٣٤٦ هـ) الذى جمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد، وله عدة مؤلفات من أشهرها كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» ومسكويه (ت٤٢١ هـ) وكتابه (تجارب الأمم) من أحسن كتب التاريخ، ويمتاز مسكويه بأنه لم يجعل همه فى كتابه جمع الحوادث فقط، بل كان له تدبر ونظر فيما يكتب .

وابن خلدون (٨٠٨ هـ) وكتابه: «المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر» من كتب التاريخ القيمة التى يعتد بها؛ فهو يمتاز بأنه مؤرخ نقادة، وقد صدر تاريخه بمقدمته التى وضع فيها مبادئ النقد التاريخية الرائعة، والتى تعتبر بحق أول كتاب من نوعه فى فلسفة التاريخ والاجتماع .

ومن أشهر من كتب فى التراجم حاجى خليفة (١٦٥٨م) صاحب كتاب «كشف الظنون» وهو معجم فريد لأسماء نحو ١٨,٥٠٠ كتاب، وألحق فيه اسم كل كتاب منها باسم مؤلفه وسنة وفاته .

* * *

(١) حضارة العرب للعلامة جوستاف لوبون ص ٤٩١ ، ٤٩٩ .

الجغرافيا

أسهم العرب فى تقدم علم الجغرافيا بنصيب موفور، يدل لذلك مؤلفاتهم الكثيرة فيه، وما فيها من معلومات لم تكن معروفة من قبل .

وإذا كان اليونان قد سبقوهم فى ذلك فإنهم هم الذين حفظوا معارف اليونان ودرسوها، ثم لم يلبثوا – كعادتهم – أن فاقوهم فيها، فصححوا ما نقلوه عنهم، وأضافوا إليه الكثير مما لا عهد لليونان ولا لغيرهم به، وقد ترجم بعض تراثهم فى ذلك إلى اللاتينية فى العصور الوسطى، وفى الحق إن أوربا مدينة للعرب فى معرفة المعلومات اليونانية فى الجغرافيا، فهى لم تعرف هذه المعلومات إلا من الكتب العربية .

وقد ساعد العرب على هذا التفوق حبهم للسياحة والرحلات، فجابوا البلاد من الصين إلى مجاهل أفريقيا، وأقاموا علاقات تجارية واسعة مع بلاد لم يسمع بها الأوربيون، أو شكوا فى وجودها .

ومن طلائع هؤلاء الرائدين التاجر سليمان، الذى أبحر من سيراف على الخليج الفارسى، وجاوز المحيط الهندى . وبلغ شواطئ الصين، ثم كتب رحلته فى سنة ٨٥١م، وكتابه هو أول مؤلف نشر فى بلاد الغرب عن بلاد الصين وقد نقل إلى اللغة الفرنسية (١) .

ثم جاء من بعده المسعودى (٣٤٦هـ) الذى قضى خمسا وعشرين سنة من حياته فى الطواف فى المملكة الإسلامية، وفى الممالك المجاورة لها كبلاد الهند وقيد ما شاهده فى تآليفه المهمة التى يعد أشهرها كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» الذى قال فيه ابن خلدون: «إنه شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده شرقاً وغرباً، وذكر نحلهم وعوائدهم، ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول؛ فصار إماما للمؤرخين يرجعون إليه، وأصلا يعولون فى تحقيق الكثير من أخبارهم عليه» .

وآخر رحالة عربى يعتد به، ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) الذى بدأ رحلاته من مدينة طنجة، وطاف فى جميع أنحاء العالم القديم تقريباً، وكتب رحلته وهى رحلة

---

(١) حضارة العرب للعلامة جوستاف لوبون ص ٤٩١ ، ٤٩٩ .

عظيمة تكفى لتمجيد من يقوم بها فى الوقت الحاضر، وقد ترجمت إلى أكثر من لغة، وطبعت فى باريس ولندن، وبرلين، وطبعت فى مصر سنة ١٢٨٧ هـ .

ويكفى فى معرفة التقدم الذى تم على يد العرب، فى هذا العلم أن نقابل بين الأمكنة التى عينها الإغريق و لأمكنة التى عينها العرب، فإن هذه المقابلة تدل على أن مقدار العرض الذى حققه العرب يقرب من الصحة بما لا يزيد عن بضع دقائق، وأن خطأ الإغريق فيه بلغ درجات كثيرة، حتى إن بطليموس السكندرى بلغ خطؤه فى تقدير البحر الأبيض المتوسط أربعمائة فرسخ .

على أن المسلمين بدأوا بوضع الجغرافيا قبل اطلاعهم على كتاب بطليموس – الذى كانوا يعولون عليه كثيراً فى تقويم البلدان – لأسباب غير التى دعت اليونان إلى وضعها، ومنها :

١– الحج، وهو فريضة على كل مسلم مستطيع؛ فالمسلمون على اختلاف بلادهم يحجون مكة للنسك، وهو يفتقر إلى معرفة الطرق والمنازل .

٢– طلب العلم، وهو فريضة أيضاً على كل مسلم ومسلمة؛ فكان المسلمون يرحلون إلى سائر الأمصار الإسلامية، والرحلة تستلزم معرفة الأماكن والمناطق .

٣– وضع الخراج على الأقاليم التى فتحت فى صدر الإسلام، وهو مدعاة لمسحها ومعرفة عامرها من غامرها، وأنواع غلاتها؛ لما فى ذلك من مصلحة ظاهرة لبيت مال المسلمين (١) .

كانت هذه الأسباب وغيرها باعثاً على الكتابة فى علم الجغرافيا وكانت أكثر الكتب الجغرافية التى كتبت فى القرنين الثانى والثالث من الهجرة فى الوصف الجغرافى للأقاليم الإسلامية .

والواقع أن كتب العرب فى الجغرافيا مهمة للغاية، لهذا لا نعجب أن كان بعضها أساساً لدراسة هذا العلم فى أوربا قروناً كثيرة .

واشتهر بعلم الجغرافيا كثير من علماء العرب، وأبرزهم الشريف الإدريسى، وقد ألف فى سنة ١١٥٤م كتابه : « نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق » وهو كتاب عظيم اشتمل على معلومات من سبقه، وعلى ما شاهده

---

(١) راجع كتاب آداب اللغة العربية للأستاذ جورجى زيدان جـ٢ ص ٢٠١ .

بنفسه، وماسمعه من السائحين قبله، وهو مزود بأكثر من أربعين مصوراً جغرافيًا، ومصوره عن منابع النيل يثبت أن معارف العرب فى جغرافية أفريقيا أعظم مما كان يظن، وقد نقل هذا الكتاب إلى اللاتينية، وتعلمت منه أوربا علم الجغرافيا فى القرون الوسطى، وظلت تعول عليه أكثر من ثلاثة قرون .

ومنهم ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) صاحب كتاب : « معجم البلدان » وهو معجم وموسوعة جغرافية ضخمة إلى جانب ما فيه من معارف تاريخية وأدبية عظيمة .

وقد ذكر أبو الفدا صاحب حماة (٧٣٢ هـ) أسماء ستين عالماً جغرافيًا مشهوراً ممن ظهروا قبله .

وهكذا يتجلى فضل العرب فى هذا العلم يقول العلامة جوستاف لوبون :

« ويكفى أن نشير مع ذلك إلى ما حققه العرب فى الجغرافية لإثبات قيمتهم العالية؛ فالعرب هم الذين عينوا بمعارفهم الفلكية مواقع الأماكن تعييناً مضبوطاً فى الخرائط، فصححوا بذلك أغاليط علماء اليونان، والعرب هم الذين نشروا رحلاتهم الممتعة عن بقاع العالم التى كان يشك الأوربيون فى وجودها، والعرب هم الذين وضعوا الكتب الجغرافية التى جاءت ناسخة لما تقدمها، فاقتصرت أمم الغرب عليها وحدها قروناً كثيرة [١] .

* * *

---

(١) حضارة العرب ص٤٩٩ ، وراجع الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى للأستاذ آدم متز جـ٢ ص ١ – ١٢ .

الاجتماع

علم الاجتماع يبحث عن أحوال الجماعات والشعوب، وما تتصف به فى محافلها ومعايشها، وأعيادها ومواسمها، وما إلى ذلك .

أو هو يبحث عن عوامل تكوين الشعوب والأمم وتطورها ونضجها وقوتها، ثم ما يعتريها من عوامل الضعف والانحلال وما يتصل بذلك .

وسواء أردنا من علم الاجتماع المعنى الأول أو الثانى، فإن العرب لهم فيه القدح المعلى؛ فكتب الرحلات والخطط مليئة بذكر أحوال الأمم، ووصف معايشها وعاداتها وطرائفها فى ذلك .

وأشهر من كتب فى هذا الميدان المسعودى، فى كتاب: «مروج الذهب» إذ شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده، وذكر نحلهم وعوائدهم، وتعرض لكثير من طرائفهم .

ثم جاء من بعده ابن حوقل الذى يقول: إنه وصف أقاليم البلدان، وبين الغامر منها والعامر، وما لها من قوانين، ووجوه الأموال والجبايات والمجالب والتجارات .

والبيرونى الذى رافق السلطان محمود الغزنوى فى حملته على بلاد الهند سنة ١٠٠٠م ونشر ما شاهده فى بلاد السند وشمالى الهند .

ووصف ابن بطوطة فى رحلته الشهيرة «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ماشاهده من أحوال الشعوب التى زارها وعاداتهم .

والمقريزى (٨٤٥هـ) فى خططه، وصف الأعياد والمواسم والمحافل فى مصر، وبخاصة فى زمن الفاطميين .

وابن خلدون فى مقدمته الشهيرة، أربى على الغاية فى عوامل تكوين الجماعات وتطورها، وما يعتريها من عوامل القوة والضعف، والبقاء والانحلال، وقد سبق أوربا فى كثير مما عرفته الآن من نظريات، ومن ثم كان هو المؤسس لعلم الاجتماع .

* * *